الحضارة ـ في مفهومنا العام ـ هي ثمرة كل جهديقوم به الإنسان لتحسa ظروف حياتهQ سواء أكاناجملهود ا>بذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداأم غير مقصودQ وسواء أكانت الثمرة مادية أموهذا ا>فهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباطبالتاريخQ لأن التاريخ كما سنرى هو الزمنQ والثمراتالحضارية التي ذكرناها تحتاج إلى زمن لكي تطلعQأي أنها جزء من التاريخQ أو نتاج جانبي للتاريخQوكما أن ثمر الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعلالزمنQ إذ لا tكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فينفس الوقتQ فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافةولا تتبa القيمة الحقيقية لأي ثمرة حضاريةإلا إذا جربها الإنسان في الاستعمال مرة بعد أخرىQأيضا يحتاج إلى وقت أي زمن وتاريخQ ولابد كذلكأن يتكاثر صنع الشيء ويتراكمQ حتى يكون له أثرفي حياة الإنسانQ ويصبح جزءا من هذه الحياةQفإذا وفق إنسان إلى صنع قوس واحدة ورمى بهاوالحرب فأهملهاQ لم تكن لها قيمة حضارية. ومن ا>ؤكد عند العلماء أن كلاكتشاف من الاكتشافات ا>بكرة التي كونت الخطوات الأولى في ا>سيرةالحضاريةQ اكتشفت وأهملت أو نسيت أكثر من مرة في نفس الجماعةQحتى اتضحت قيمتها العملية فعمل الناس على الإكثار منها واستعمالهاQومع الإكثار تحسن نوعها وزادت كمياتها.وأصبحت أداة من أدوات الحياة اليوميةQ وهذا هو ما يسمى بالقيمةالتراكميةcumulative value وهذا أيضا يحتاج إلى زمن وتاريخ.وعندما وجدنا رغيفان الخبز في مقابر الفراعنة عرفنا أن وراء هذهالأقراص تاريخا طويلاQ وعندما درسنا أحوال اجملتمعات البدائية الباقيةإلى اليومQ عرفنا صفحات طويلة من ذلك التاريخQ فمن هذه القبائل مايعرف القيمة الغذائية لسنابل القمح التي توجد برية بـa الحشائشQ فيأخذونالقمح من السنابل ويأكلونه كما هوQ ومنها من يجمع أفرادها هذه السنابلحصداQ ومنها قبائل تزرع القمح وتحصده وتأكله حباQ ومنها قبائل تجرشهقبل أن تأكلهQ وهناك قبائل تطحنه وتأكله دقيقا أو تذيبه في ا>اءQ وهكذاحتى نصل إلى القبائل التي تصنع الخبزQ وإذا كان عمر الإنسان على وجهالأرض يرجع إلى ثلاثمائة ألف سنة على أقرب الآراء إلى الصحةQ فإن لكلمن هذه القبائل مكانها على هذا الطريق أو التاريخ الطويل الذي يحكيهرغيف الخبز الذي وجدناه في مقابر الفراعنة.وهنا ـ ومرة أخرى ـ تتجلى لنا الصلة بـa الحضارة والتاريخQ ولنذهب معهذا ا>ثل الواحد خطوة أخرق فنقول: إن صنع الخبز لم يتيسر إلا بأدواتمن مواعa وآنية وأحجار طحنQ وعلم يتمثل في خلط الدقيق با>اء وعجنهوحسن استخدام للنار في هذا ا>طلبQ وهذه كلها احتاجت إلى أزمانمتطاولة حتى ⍰كن الناس من جمعها واستخدامها معا لصناعة شيء واحدفالحضارة والتاريخ ـ على هذا ـ مرتبطان أحدهما بالآخر أشد الارتباطQولا يستطيع الإنسان أن يتحدث عن الحضارة حديثا معقولا إلا إذا عرفماهية التاريخ معرفة معقولة أيضا. ولا معنى لأن نشير هنا إلى ما ذهبإليه بعض قدماء ا>فكرين ومنهم أبو محمد علي بن أحمد بن حزمQ الذيأيد هذا الرأي في كتابه ا>سمى «مراتب العلوم» من أن الله سبحانه وتعالى.د أوحى إلى الإنسان الحرف والصنائع كلها وحياQ فأوحى إلى أول نجار كما أوحىسبحانه إلى النحل كيف تبني خلاياهاQ يقول ابن حزم: «وكيف يتأتى للنحلأن يصنع خليته إلا بإلهام من الله تعالى?» نقول ونرد على هذا القول: بأنهذا أسهل وسطحي في تفسير ظاهرة الحضارةQ وقد غاب عن ابن حزم أن ولهذافإن النحل يصنع خلاياه على هذا النحو من عشرات الألوف من السنـQaوسيظل يصنعها على هذه الوتيرة إلى أن يطوي الله الأرض وما عليهاQ أماالإنسان فله غرائزه أيضا التي يحافظ بها على بقائه وبقاء نوعهQ وبالغرائزوحدها يظل الإنسان على هيئته التي فطره الله عليها أبد الدهرQ أماتقدمه وتحسن أحواله فيرجع إلى مواهب أخرى أعطاه الله إياها أولهاالعقلQ وهذا العقل هو الذي اختزن ا>علومات ولاحظ الأشياء وتأملهاQ

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي